قسم اللغة والأدب العربي _جامعة أم البواقي_

محاضـرات مـادة (النحو الوظيفي) سنة ثانية ليسانس، تخصص: دارسات نقدية

إعداد الأستاذة: هندة كبوسي

# عنـــوان المحاضرة: المدرسة التوليدية التحويلية

**المدرسة التوليدية التحويلية:**

**التصوّر العقلاني للغة:**

يعدّ التصوّر العقلاني في تسمياته العديدة الموقف المضاد للتجريبيّة المادية في أشكالها المختلفة وللسلوكية بوجه خاص. ويستمد الموقف العقلاني المعاصر جذوره الأولى من الفلاسفة العقلانيين في القرن السابع عشر أمثال رينيه ديكارت (1596–1650) ثم همبولت (1767–1835) ومن أبرز ممثلي العقلانية في اللسانيات الحديثة اللساني الأمريكي تشومسكي صاحب النظرية اللسانية المعروفة بالنحو التوليدي.

يرفض العقلانيّون أطروحة السلوكيين القائلة بأنّ الانسان يولد صفحة بيضاء وأنّ المحيط الخارجي هو الذي يكسبه هذه اللغة في إطار ثنائية المثير والاستجابة عن طريق التجربة، أو عن طريق التعلم بمختلف توجهاته وطرائقه.

ومقابل هذا التصوّر التجريبي يؤكد العقلانيون فرضية ما يعرف بالفطرية؛ أي الوجود الأولي للأفكار والبنيات المعرفية، ومنها البنيات اللغوية عند الإنسان. فالإنسان دون غيره من الكائنات الحية يولد مزوّد ببنية لغوية، وهي معرفة أولية مستقلّة عن أيّ بنية تجعله قادرا على اللغة من دون تعلّم خاص، والقول بالفطرية يعني أيضا الاستعداد البيولوجي الخاص عند الإنسان للّغو، مثلما يلاحظ من استعداد خاص للقدرة على الطيران عند الطيور.

ويؤكد العقلانيون الطابع الإبداعي للغة، فكل متكلم يكون قادرا انطلاقا من مواد لغويّة محدودة على إنتاج وتأويل مالا حصر له من الجمل، وهي جمل لم يسبق له أن أنتجها أو فهمها من قبل كما تؤكد العقلانية مبدأ استقلال اللغة عن الذكاء، أي عدم وجود أي علاقة عضوية أو وظيفيّة بين مستوى ذكاء المتكلم وقدرته على اكتساب اللغة واستعمالها.

إنّ خصوصية اللغة عند الإنسان تتمثل في كونها خاصة بالجنس البشري، وهو ما يؤكد ضرورة افتراض وجود الاستعداد الأولي للفعل الكلامي بوصفه صفة بيولوجية ملازمة للإنسان، ويمكن افتراض –بحسب التصور العقلاني– أنّ اللغات الطبيعية مهما اختلفت بنياتها الصوتية والتركيبية والدلالية، فإنّها تمتلك صفات وقواسم مشتركة يطلق عليها الكليّات اللغوية، والكليّات نوعان: مادية وصورية.

تتمثل الكليات المادية في كون اللغات البشرية تشترك في بعض الأصوات اللغوية من حيث هي مادة وفي بعض الخصائص المميّزة بينها، مثل الشفوية والانفجارية الإحتكاكية، وفي مستوى التركيب، يلاحظ أن كل اللغات تتوافر فيها جملة من المقولات، مثل الفعلية والاسمية والحرفية.

أما الكليّات الصورية فتتجلّى في كون اللغات البشرية تعرف عددا مشتركا من المبادئ الصورية العامة المتعلقة بتنظيم اللغات من الناحية الشكلية، سواء في مستوى الدلالة، أو مستوى التركيب:

-جميع اللغات تتوافر بها بنيات سطحية وبنيات عميقة.

-جميع اللغات تلجأ إلى مفهوم التحويل الذي يمكن بواسطة الانتقال من البنيات السطحية إلى البنيات العميقة.

وما تختلف فيه اللغات هو كيفية تطبيقها لهذه التحويلات بالنسبة إلى الظواهر الخاصة بها بحسب طبيعة نسقها التركيبي.

ويرفض الاتجاه الفطري إعطاء الأولوية للمحيط الخارجي في مسألة تعلّم اللغة، فالقوانين والمبادئ العامة المتحكِّمة في تعلّم اللغات هي مبادئ داخلية، أي تأتي من البنية الداخلية للعقل الإنساني نفسه، هذا الموقف لا يعني إطلاقا إنكار أهمية المحيط ودوره في تعلّم اللغة واكتسابها، ولكن يعمي أنّ دور المحيط ثانوي، إذ لابّد من الاستعداد الأولي للغو؛

أي القدرة على استعمال اللغة، ليقوم المحيط بدوره التفاعلي في بلورة هذا الاستعداد، وليس العكس كما يقول التجريبيّون الذين يعتبرون أنّ المحيط هو الذي يمدّ الفرد بهذه اللغة، أو أنّ المحيط هو مصدر كل ما لدى الطفل من المهارات اللغوية عن طريق التجربة (الاحتكاك- تقليد الكبار- القياس).

إنّ اللغة ليست -بحسب العقلانيين- سلوكا تجريبيا يكتسبه الطفل نتيجة لما يقدّمه المحيط من مؤثرات خارجية أو نتيجة لتقليد العبارات اللغوية المستعملة التي يستعملها الطفل، بل إنها صفة بيولوجية ملازمة للإنسان يتميّز بها عن غيره من الكائنات الحية. ويرى العقلانيّون أنّ المحيط لا يملك أيّ بنية متجانسة أو أساسية تجعله قادرا على إكساب الطفل نظاما معقّدا في مستوى اللغة البشرية.

وليس هنالك قوانين خارجية للاكتساب اللغوي عند الطفل، بل تأتي كل القوانين من داخل البنية المعرفية عموما واللسانية خصوصا. ومعنى هذا أنّ كل بنية أولية مرتبطة بالإدراك سواء كانت من مصدر بيولوجي أو معرفي أو لساني، فهي مفروضة من الجهاز نفسه (الاستعداد الأولي للغو) على المحيط وليس العكس).

**1-مبادئ النحو التوليدي التحويلي:**

**1-1-التوليد:** يعدّ التّوليد من أهم المفاهيم التي جاء بها النحو التوليدي التحويلي، وتميّز بها، ويقصد به القدرة على الإنتاج غير المحدود للجمل، انطلاقا من العدد المحصور من القواعد -في كل لغة- وفهمها، ثم تمييزها عما هو غير سليم نحويّا.

**1-2-الملكة والأداء:** إنّ الملكة هي معرفة المتكلم، السامع للغته وأما الأداء فهو الاستعمال الفعال للغة في مواقف مادية واضحة... وإنّ نحو أيّة لغة يفترض أن يكون وصفا للملكة الذّاتية الأصلية للمتكلم السامع المثالي. ولذلك فالملكة هي عامة ومشتركة بين أبناء المجتمع اللغوي الواحد المتجانس، ما داموا جميعا يملكون المعرفة نفسها بنظام اللغة؛ "فالملكة ماهي إلا نسق كلي للتمثّل الذّهني للغة"، أما الأداء فذو طابع فردي يتمايز من شخص لآخر، بحسب اختلاف هذه العوامل.

وفي الأخير يمكن القول إنّ الملكة تظلّ هي الخاصيّة التي تميّز الإنسان عن كافّة المخلوقات، وتسقط عنه صفة الآلية والحيوانية المجرّدة من التفكير المبدع، وتيسّر له الاستعمال النّهائي للتّعبير عن اللانهائي من الجمل وفهمها "إنّ الملكة اللغوية خصيصة من خصائص النّوع، وعامة في أفراده، ومقصورة عليه في صفاتها الأساسية، وهي قادرة على إنتاج لغة غنية ومفصّلة ومعقدة على أساس من ..... لغوية قليلة".

**1-3-الإبداعيّة:** إنّ الإبداعية هي استعمال لنظام اللغة استعمالا ابتكاريّا، تجدّديا لا مجرّد تقليد سلبي لقواعده.

إنّها تتمثّل في القدرة على الانتاج غير المحدود للجمل، انطلاقا من العدد المحصور من الكلمات والقواعد الثابتة في ذهن المتكلم: "هذه الطريقة التوليدية التحويلية تنبني على ما يمكن تسميته بلانهائية اللغة؛ إنّه يرى أنّ كل لغة تتكوّن من مجموعة من الأصوات، ومع ذلك فهي تنتج أو تولد جملا لانهائية لها... فإذا كان الأمر كذلك فإنّ اللغة خلاقّة بطبيعتها، أي إنّ كل متكلّم يستطيع أن ينطق جملا لم يسبق له أن نطقها أحد من قبل، ويستطيع أن يفهم جملا لم يسبق له أن سمعها من قبل".

وعليه فإنّ التّوليد عملية إبداعية تميّز الإنسان عن بقية المخلوقات الحيوانية، وتسقط عنه صفة الآليّة.

**1-4-النحوية:** إنّ الهدف الأساس للنحو التوليدي التحويلي هو التّمييز بين الجمل النحوية البسيطة، وبين الجمل غير النحوية المنحرفة عن قواعد النظام اللغوي الضمني، والواجب إبعادها عنه.

إن مفهوم النحوية يرتبط بمفهوم آخر عليق به هو "التصحيح"؛ أي تصحيح ماكان غير مقبول نحويّا.

**1-5-البنية العميقة والبنية السطحية:** لقد وضع تشومسكي هذين المبدأين من أجل تيسير دراسة الجملة المنطوقة والمكتوبة وفهم دلالتهما.

إنّ البنية العميقة هي التركيب الباطني المجرّد، الموجود في ذهن المتكلم وجودا فطريا، وهي أوّل مرحلة من عملية الإنتاج الدلالي للجملة، إنها التركيب المستتر الذي يحمل عناصر التفسير الدلالي.

أما البنية السطحية فهي تتمثل في التركيب التسلسلي السطحي للوحدات الكلامية المادية، المنطوقة أو المكتوبة، إنّها التفسير الصوتي للجملة.

إنّ تحديد هاتين البنيتين يتم على مرحلتين هما:

أ-استخراج البنية العميقة التي تعد أول عنصر ناتج عن عملية اشتقاق الجملة وهي تضم كافة المعطيات الدلالية، كما أنّها عالمية.

ب-البنية السطحية وهي آخر مرحلة من العملية الاشتقاقية، وتعد المظهر الخارجي للجملة الناتج عن العملية التحويلية، التي تحول البنية العميقة إلى شكلها المنطوق الفيزيائي.

**1-6-التحويل:**إنّ الربط بين التركيب الظاهري والباطني هو التّحويل، ولا يكون النحو التوليدي تحويليا إلا بشرطين:

أ–تمييزه بين البنية العميقة والسطحية للجملة.

ب–اشتماله على نوعين من القواعد هما:

–قواعد نسقية: وتتمثل في قواعد إعادة الكتابة، التي تحلّل وفقها الجملة –تدريجيا– حتى يتحصّل على تمثيلها المجرد.

–قواعد تحويلية التي تحول التّمثيل المجرّد شبه النهائي إلى تمثيل مادي.

إنّ كل عملية تحويلية لابّد أن تمرّ بمرحلتين:

**1–مرحلة الوصف البنوي:** وهي المجال الذي تُحدّد فيه المتغيّرات التي سيجري عليها التحويل، وتظهر (أي المتغيرات) التي سيجري عليها التّحويل على شكل رموز تحدد الفئات النحوية مثل ف (الفعل)، إ (اسم)، ...

**2–مرحلة التغيير البنوي:** وفيها تتم العمليات التحويلية من حذف وزيادة وتركيب...